الخلفاء والحج في العصر العباسي الأول

(١٣٢ / ٢٣٢ هـ) (٧٤٩ / ٨٤٦ م)

د. هويدا عبدالمنعم إدريس
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

تمهيد :

كان خلفاء العصر العباسي الأول أحرص من أي خلفاء سابقين أو لاحقين على حضور مواسم الحج في مكة المكرمة[١]. وهنالك تساؤل حول إذا ما كان هذا الحرص على التواجد في مواسم الحج من أجل تثبيت مركزهم السياسي والديني في بلاد الحجاز، أم أنه كان جزءًا من واجبهم الديني الذي كانوا قد شرفوا به في الإسلام وقبل الإسلام.

وللإجابة على هذا التساؤل يجدر بنا أن نُلقي الضوء على تنافس البيت الهاشمي بفرعيه العلوي والعباسي من أجل الوصول إلى الخلافة.

فلقد كان لبني هاشم مكانة دينية قبل الإسلام؛ وذلك لقيامهم بسقاية ورفادة حجاج بيت الله الحرام، وفي الفترة القريبة العهد بالإسلام تولى تلك المهام هاشم جد الرسول (ص)[٢]، وبعد وفاته خلفه أخوه المطلب في مناصبه، ولمَّا مات المطلب خلفه فيها ابن أخيه عبدالمطلب ثم خلفه في السقاية والرفادة ابنه أبو طالب[٣]، ثم تولاها أخوه العباس، وقد ظل قائمًا عليها بعد الإسلام[٤]. وذكر ابن هشام[٥] ولاية العباس بالسقاية بقوله " فأقرها رسول الله (ص) على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس، بولاية العباس إياها إلى اليوم ".

ولاشك أن بني العباس أعدوا هذا الواجب الديني الذي شرفوا بـــه مكرمـــة خاصة تفاخروا بها على أبناء أعمامهم[٦]، ورغم ذلك فقد ظلت العلاقة بـــين بنـــي هاشم " علويين وعباسيين " تقوم على الود والصفاء[٧].

لم يكن تطلع العباسيين للخلافة له جذور عميقة، فمنذ وفاة الرسول (ص) لم يرشح المسلمون للخلافة أحدًا من بني هاشم إلاّ عليًا بن أبي طالـــب وأولاده، ولـــم تتجه الأنظار إلى العباس عم الرسول (ص) لأنه لم يكن من السابقين الأولين فـــي الإسلام، ولم يدخل العباس الإسلام إلاّ قبيل فتح مكة عام ٨هـــ[٨]. أما ابنه عبـــدالله فقد كان حبر الأمة وترجمان القرآن وقد ركز جهوده في الناحية العلمية والفكريـــة ولم يكن له تاريخ سياسي نشط[٩]، لكن ابنه علي بن عبدالله أظهر طموحًا نشطًا نحو الخلافة ونادى أكثر من مرة بحق العباسيين فيها.

وكانت السلطة الأموية تنظر إليه بعين الشك والحذر فاستدعوه وأهلـــه إلـــى الشام وأقطعوه الحميمة[١٠] (قرية صغيرة في الأردن بأرض الشـــراة بـــين الشـــام والحجاز) كي يكون تحت إشرافهم ورقابتهم في الشام، وبعد وفاة علي بن عبـــدالله العباس عام ١١٨هـــ/٧٣٦م تزعم ابنه محمد بني العباس[١١].

ويعتبر محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الشخصـــية القويـــة والعباســـي الحقيقي الذي أظهر طموحًا نحو الخلافة وسعى سعيًا سريًا ومنظمًا لنيلها، وحين بدأ دعوته كان حذرًا وأسند ادعاءه بالخلافة إلى وصية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إمام الشيعة الكيسانية[١٢] الذي تنازل له عن حقه في الخلافة وسلّم له زمام الـــدعوة الكيسانية وذلك قبل وصوله الحميمة مُسممًا على يد الخليفة الأمـــوي هشـــام بـــن عبدالملك ووفاته في الحميمة، وعلى أساس هذه الوصية ورث محمـــد بـــن علـــي العباسي جميع الخطط والدعاية السرية التي كانت للعلويين عمومًا وادعى العباسيون تحول حق الإمامة من أبناء أعمامهم العلويين إليهم[١٣].

ويبدو أن العباسيين كانوا في أواخر القرن الأول الهجري أكثر كفاية ونشاطًا في الناحية السياسية من العلويين وأكثر تطلعًا منهم إلى النفوذ والسلطان، وقد قيـــل إن أبا هاشم إنما فعل ذلك لأنه لم يجد بين أفراد البيت العلوي من يستطيع النهوض بأعباء إمامة المسلمين[١٤].

وعلى أية حال فقد قام محمد بن علي العباسي من مقره بالحميمة بتنظيم الدعوة تنظيمًا سريًا دقيقًا وأخذ في إرسال الدعاة والنقباء إلى الجهات الملائمة لتلك الدعوة[١٥].

حرص العباسيون في تلك الفترة على إخفاء أطماعهم نحو الخلافة، فلم تكن البيعة تؤخذ باسمهم وإنما كانت تحت ستار براق يدعو إلى " الرضا من آل محمد " أي لشخص معين من آل البيت يتفق عليه المسلمون فيما بعد على اعتبار أن أهل البيت هم أحق الناس بحكم المسلمين[١٦]. وقد ظل أمر العباسيين سرًا لا يعلمه إلاّ النقباء من شيعتهم حتى وفاة محمد بن علي العباسي عام ١٢٥هـ/٧٤٢م[١٧] وتولية ابنه الإمام إبراهيم بن محمد الذي استطاع في السنوات الأربع الأخيرة أن يُخرج هذه الدعوة من السر إلى العلانية ومن دور الدعوة السلمية إلى دور العمل والكفاح المسلح ضد خلفاء بني أمية[١٨]، وبعد وفاته واصل أخوه أبو العباس عبدالله بن محمد هذا النضال، وفي أواخر عام ١٣٢هـ/٧٤٩م رفرف العلم الأسود وشعار العباسيين فوق حصون دمشق بعد أن زالت عنها دولة الأمويين[١٩].

وهكذا يمكننا القول أن القوة والنصر هما اللذان قررا حق العباسيين في خلافة المسلمين حيث أوصلوا كفاحهم ضد الأمويين إلى الانتصار وهذا ما أخفق في تحقيقه العلويون طوال صراعهم مع بني أمية[٢٠].

اهتمام الخلفاء العباسيين بتدعيم مركزهم السياسي في بلاد الحجاز :

وما أن ثبت العباسيون مركزهم وقبضوا على زمام الخلافة حتى سعوا إلى إثبات أن حقهم في الخلافة لا يعتمد على وصية أبي هاشم لمحمد بن علي بن عبدالله العباسي[٢١]، وإنما يستند على حق القرابة من رسول الله (ص) أولاً، وعلى حق الحرمة ثانيًا " أي مركزهم الديني كمسئولين عن سقاية ورفادة حجاج بيت الله الحرام في مكة المكرمة "[٢٢]، ولم يطب ذلك في نفوس العلويين وإنما رأوا أن العباسيين قد خدعوهم واستأثروا بالخلافة دونهم مع أنهم أحق بها منهم، فنابذوهم العداء ونظروا إليهم كما كانوا ينظرون إلى بني أمية من قبل، وظلوا يناضلون ويكافحون ابتغاء الوصول إلى حقهم في الخلافة[٢٣].

ولقد حاول الخليفة أبو العباس السفاح خلق جو من الوفاق السودي الهاشمي (العباس ـــ العلوي) في فترة حكمه القصيرة (١٣٢/١٣٦هـ)(٧٤٩/٧٥٣م) ويظهر هذا فعلاً في محاولته التقرب من الشخصيات العلوية ومن أشعار شعراء البلاد في تلك الفترة، لكن حالة الوفاق التي كان يشوبها جو من التأزم والحرج لم تدم طويلاً فلم تكن هذه السياسة توافق الخليفة أبا جعفر المنصور الذي أظهر بوضوح، إثر تسلمه السلطة، أنه سيضرب بيد من حديد على كل المعارضين للدولة، علويين كانوا أم غير علويين، ذلك لأن هدفه كان تثبيت جذور الخلافة العباسية مهما كان الثمن[٢٤].

وكان الفرع الحسيني من العلويين هم أول الخارجين على بني العباس بقيادة محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف " بالنفس الذكية " (أي الطاهر من الذنوب) واشترك معه في الخروج أخوه إبراهيم[٢٥].

وكان محمد ذو النفس الذكية يرى أنه أحق بالخلافة من العباسيين استناداً إلى حقه الشرعي بصفته حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب، واستناداً إلى أن بني الحسن أشاعوا أن بني هاشم وفيهم إبراهيم الإمام، والسفاح، والمنصور، وصالح بن علي، اجتمعوا بالأبواء ـــ على طريق مكة ـــ في أواخر عهد الدولة الأموية وأجمعوا على اختيار محمداً ذا النفس الذكية للإمامة[٢٦]. كذلك أن عبدالله بن الحسن أشاع عن ابنه محمد أنه " المهدي " الذي بُشر به.

هذا بالإضافة إلى أنَّ محمد ذي النفس الذكية كان شخصية محبوبة في بلاد الحجاز، فانضم إليه عدد كبير من أهل المدينة وبخاصة طبقة الفقراء والمعدمين الذين وجدوا في ادعائه بأنه مهدي هذه الأمة ما يحقق آمالهم التي فشل العباسيون في تحقيقها[٢٧]، ومما ساند ثورة محمد التأييد الذي لاقاه من الفقهاء وأهل الحديث الذين أدركوا بأن وجهة النظر العباسية السياسية لم تكن أقل دنيوية من وجهة نظر الخلفاء الأمويين، ولذلك أيدوا ثورته انطلاقاً من دوافع دينية[٢٨].

كان المنصور يشك في نوايا محمد ويخشى طموحه في الخلافة، وقد ازدادت شكوكه عندما حج عام ١٤٠هـ/٧٥٧م إلى الديار المقدسة وتخلف محمد وأخوه إبراهيم عن المثول بين يديه، وكانا يقيمان في الحجاز في مكان غير معروف[٢٩].

لهذا اهتم المنصور بالبحث عنهما واستطلاع أخبارهما، فأوعز إلى ولاته في الحجاز بمراقبة بني الحسن والتضييق عليهم، وحينما حج المنصور عام (١٤٤هـ/٧٦١م) قبض على آل الحسن جميعًا وأرسلهم إلى العراق وسجنهم بالكوفة لأنهم كانوا يتسترون على المكان الذي يوجد فيه محمد ذو النفس الذكية[٣٠].

رأى المنصور بعد ذلك أن يستعمل أساليب الدهاء ليعجل من ظهور محمد قبل أن يستفحل خطره، فدس له عيونًا يتظاهرون بأنهم أتباعه ويوهمونه بأن دعوته قد عمت الأقطار، كذلك أوعز المنصور إلى قواده بأن يكتبوا إلى محمد ويخبرونه بأنهم معه ويدعونه إلى الظهور[٣١]. وانخدع محمد بهذه الحيلة، وفي أول رجب عام ١٤٥هـ/٧٦٢م خرج محمد ذو النفس الذكية من مكمنه وأعلن عن ثورته في المدينة المنورة، وكان متفقًا مع أخيه إبراهيم على أن يثور في نفس الوقت بمدينة البصرة بالعراق، حتى يقع المنصور بين نارين، لكن حدث أن مرض إبراهيم بالجُدري فتأخرت ثورته مدة شهرين مما أتاح الفرصة للمنصور كي يقضي على الأخوين واحدًا بعد الآخر[٣٢].

اتخذت الحرب صفة كلامية في بادئ الأمر، وذلك عن طريق إلقاء الخطب وتبادل الرسائل واستخدام أساليب الدعاية المختلفة، حيث أخذ كل فريق يشرح وجهة نظره وحقه في الخلافة ويتفاخر بنسبه وحسبه[٣٣]. وبعد فشل هذه المراسلات أرسل المنصور ولي عهده وابن أخيه عيسى بن موسى على رأس جيش كبير إلى المدينة[٣٤]، وقامت الحرب بين الفريقين، وكان وضع محمد في الحجاز سيئًا للغاية من الناحية الاستراتيجية؛ لأن الحجاز قطر قاحل فقير في غلاته ورجاله وسلاحه، يضاف إلى ذلك أن المنصور قطع عنه الأقوات والمؤن الواردة إليه من الطائف والشام ومصر، وطمر خليج أمير المؤمنين في مصر، وهي القناة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر لإمداد الحجاز بالغلال منذ أن حفرها الخليفة عمر بن الخطاب، هذا إلى جانب أن محمدًا حفر حول المدينة خندقًا اقتداء برسول الله (ص) حال دون وصول المؤن إليه[٣٥]، فلما وصل الجيش العباسي تخلى عن محمد كثير من أتباعه[٣٦]، فضعفت قوته وانتهى الأمر بهزيمته وقتله وإرسال رأسه إلى المنصور في منتصف رمضان عام ١٤٥هـ/٧٦٢م[٣٧]. وقد بقيت المدينة في حالة من

الفوضى والاضطراب لأيام عديدة بعد فشل الثورة، وذلك بسبب إجراءات السلطة التعسفية، ومصادرة ممتلكات الذين أيدوا الثورة وإهانتهم، وسوء تصرف الجند الخراساني[٣٨].

وعندما تولى الخليفة المهدي العباسي شئون الحكم اتخذ سياسة لينة تجاه العلويين خاصة وأهل الحجاز عامة، فقام برد معظم الأموال التي صودرت في عهد أبيه إلى أصحابها، كذلك أطلق سراح المسجونين السياسيين، ولاسيما العلويين منهم، وأمر لهم بأرزاق وصلات، كذلك عمل المهدي على استرضاء أهل الحجاز الذين سبق أن عاملهم المنصور بكل شدة وعنف لتأييدهم ثورة محمد ذي النفس الذكية، فحينما حج عام ١٦٠هـ/٧٧٦م وزع على أهل الحجاز أموالاً طائلة وأعاد إليهم الغلال والحبوب الواردة من مصر والشام، والتي كان المنصور قد قطعها عنهم خلال ثورة محمد ذي النفس الذكية، كذلك ضم إلى حرسه الخاص عددًا من الجنود الحجازيين يبلغ الخمسمائة، هذا فضلاً عن قيامه باستوزار يعقوب بن داود المعروف بميوله العلوية، وذلك كوسيلة لاسترضائهم والتقرب إليهم[٣٩].

لكن هذه السياسة اللينة التي اتبعها الخليفة المهدي مع العلويين لم تستمر طويلاً، فسرعان ما انتهت في عهد ابنه الهادي الذي اتخذ معهم سياسة قاسية، فقطع عنهم الأرزاق والصلات التي أجراها لهم أبوه المهدي، كما أمر عماله بمراقبتهم والتضييق عليهم، وحين وصلت الحالة إلى درجة من التأزم بسبب ضغط الوالي العباسي عليهم واتهامه لبعض رجالهم بشرب الخمر، تقدم الشيعة العلوية إلى (الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب) أكبر العلويين سنًا وأكثرهم قدرة على زعامة الحركة الثورية، وحثوه على الثورة، فقام بثورته في المدينة وكسر السجون وأخرج من فيها، ثم قصد مكة، وفي الطريق لقيه جيش العباسيين بـ (فخ) " وهو وادٍ في طريق مكة يبعد عنها بستة أميال "، وفي هذا المكان تقرر مصير العلويين حيث قتل الحسين بن علي بعد أن أبلى بلاءً شديدًا، وقتل معه بعض أهل بيته، وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل : لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ[٤٠].

ومن خلال تلك الأحداث يتضح لنا أن العلويين لم يعدلوا عن اعتقادهم الراسخ أنهم أحق بالخلافة من أبناء عمهم العباسيين، وأنهم كانوا يثورون في وجه الدولة الحاكمة كلما أتيحت لهم الفرص، وتهيأت لهم الأسباب.

وكان خلفاء بني العباس يُنكلون بهم لقيامهم في وجه النظام القائم حينًا، وفي حين آخر كانوا يرغبونهم بكل أنواع الترغيب ويسبغون عليهم كثيرًا من العطايا والهبات(٤١).

حرص خلفاء العصر العباسي الأول على أداء فريضة الحج :

اعتبر خلفاء العصر العباسي الأول الاهتمام بالحج وما يتعلق به جزءًا من واجبهم الديني(٤٢)، فيذكر المقريزي(٤٣) أن الخليفة أبا جعفر المنصور(٤٤) قام بأداء فريضة الحج عدة مرات، وحدد سنواتها في قوله " حج في سنة أربعين ومائة فأحرم من الحيرة ولما قضى حجه توجه إلى بيت المقدس(٤٥)، وسار منها إلى الرقة، ومضى إلى (هاشمية) الكوفة، وحج ثانيًا سنة أربع وأربعين ومائة ... ثم حج بالناس في سنة سبع وأربعين ومائة، وحج رابعًا في سنة ثمان وأربعين ومائة، وحج خامسًا في سنة اثنتين وخمسين ومائة، وسار في سنة أربع وخمسين إلى الشام وبيت المقدس ".

ولما عزم على الحج في عام ١٥٨هـ/٧٧٤م دعا ولده المهدي وأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وبسائر المسلمين خيرًا ... وأحرم المنصور بحج وعمره من الرصافة وساق بُدنه وقال : " يا بني إني ولدت في ذي الحجة، وقد وقع لي أن أموت في ذي الحجة، وهذا الذي جرأني على الحج عامي هذا وودعه وسار، وفي أثناء الطريق اعتراه مرض الموت "(٤٦)، واتفق عدد من المؤرخين أنه عندما نزل آخر منزل بطريق مكة نظر في صدر منزله فرأى بعض الأبيات مكتوبٌ فيها :

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وأمر الله لابد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم ... لك اليوم من كرب المنية مانع(٤٧)

فدعا بالحُجاب فأقرأهم ذلك فلم يروا شيئًا فعرف أن أجله قد نُعي إليه، وتوفى في السادس من ذي الحجة ولم يحضر عند وفاته إلاّ خدمه ومولاه الربيع بن يونس، فكتم الربيع خبر موته ومنع النساء وغيرهن من البكاء والصراخ عليه، ولما أصبح

الصباح وشاع نبأ موته حضر أهل بيته وجلسوا مجالسهم وجاء بعض العلويين وغيرهم من أهل خراسان وملئوا السرادق الذي ضرب له، ثم خرج الربيع إليهم وفي يده قرطاس ففضه وقرأ ما فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة الناس ... أما بعد فإني كتبت كتابي هذا وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، وأنا أقرأ عليكم السلام وأسأل ألاّ يفتنكم بعد ولا يلبسكم شيعًا، ولا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم ويا أهل خراسان ... ثم أخذ يوصيهم بالمهدي ويذكرهم بالبيعة له، وخصهم على القيام بدولته والوفاء له إلى آخر الكتاب .. "[٤٨].

عند ذلك أذن للأكابر والمسنين من أهل البيت ثم لعامتهم فأخذ الربيع منهم البيعة للمهدي بن المنصور ولعيسى بن موسى من بعده، ثم دعا القواد فبايعوا، وخرج موسى بن المهدي إلى مجلس العامة فبايع من بقى من القواد والوجوه، ثم توجه العباس بن محمد، ومحمد بن سليمان إلى مكة فبايع كثير من أهل مكة والمدينة الذين حضروا موسم الحج[٤٩]، هذا وقد تم دفن الخليفة المنصور بزي الإحرام في بئر الميمون خارج مكة المكرمة[٥٠].

كذلك قام الخليفة المهدي بأداء فريضة الحج عام ستين ومائة وحج معه ابنه هارون بن محمد في جماعة من أهله، وأنفق المهدي في هذه الحجة مالاً عظيمًا[٥١]، وحج ثانيًا عام ١٦٤هـ وأمر بتوسعة بيت الله الحرام[٥٢]، وفي سنة إحدى وستين ومائة بعث ابنه موسى الهادي فحج بالناس[٥٣].

أما هارون الرشيد فكان أكثر خلفاء بني العباس أداءً لفريضة الحج، فقد حج أثناء مدة خلافته التي بلغت ثلاثة وعشرين عامًا وشهرين وثمانية أيام، تسع مرات، وقد عُرف عنه أنه كان يغزوا عامًا ويحج عامًا[٥٤]، وكان الرشيد إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، فإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة الفاخرة[٥٥].

وعند دخول الرشيد مكة المكرمة كان يُطرح له الرمل حول البيت ومقدار عرضه ذراعان ويرش بالماء ويقوم الحرس بينه وبين الناس، وكان يطوف بين

المغرب والعشاء ثلاثة عشر أسبوعًا، ولا يطيق ذلك أحد ممن كان معه، " وكان إذا سعى شمر إزاره وجعل له ذنبين فكان يفتن من يراه "(٥٦).

هذا وقد حدد لنا بعض المؤرخين(٥٧) السنوات التي حج فيها الرشيد، فذكروا أن أول حج له وهو خليفة كان سنة مائة وسبعين هجرية، وقسَّم في أهل الحرمين عطاءً كثيرًا، وقيل إنه غزا أيضًا فيها بنفسه، وحج ثانيًا في سنة أربع وسبعين ومائة، وقسم في الناس مالاً كثيرًا، وحج ثالثًا في سنة خمس وسبعين ومائة، وحج أيضًا في سنة سبع وسبعين ومائة، وفي عام تسع وسبعين ومائة اعتمر الرشيد في شهر رمضان، وشكر الله تعالى على قتل الوليد بن الطريف الشاري(٥٨) وعاد إلى المدينة(٥٩) فأقام بها إلى وقت الحج فحج بالناس، ومشى من مكة إلى منى ثم إلى عرفات وشهد المشاعر كلها ماشيًا(٦٠) وذلك تكفيرًا عن قسم(٦١) أقسمه لأخيه الهادي ولم يبر به.

وحج الرشيد أيضًا بالناس سنة إحدى وثمانين ومائة، وحج في سنة ست وثمانين ومائة من الأنبار ومعه ابناه عبدالله المأمون ومحمد الأمين (وكان قد ولى الأمين العراق والشام إلى آخر المغرب وجعله ولي عهده، وضم إلى المأمون همذان إلى آخر المشرق وعهد إليه بعد الأمين، ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ولقبه المؤتمن وضم إليه الجزيرة والثغور والعواصم).

فلما قضى مناسكه كتب كتابًا أشهد فيه على محمد الأمين وأشهد فيه من حضر بالوفاء للمأمون، وكتب كتابًا للمأمون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للأمين وجدد العهود عليهما في الكعبة(٦٢)، ثم أمر بتعليق الكتابين في جوف الكعبة ليزيد في قدسيتهما ويؤكد تنفيذهما وليكون ذلك إعلانًا ملزمًا لأولاده ومؤيديهم(٦٣)، ثم حج الرشيد سنة ثمان وثمانين راجلاً وقسَّم أموالاً كثيرة وهي آخر حجة حجها(٦٤).

ومن الغريب حقًا أنه بعد هارون الرشيد بالذات لم يحج خلفاء لا من العباسيين ولا من الفاطميين ولا من خلفاء الأمويين بالأندلس، ولا حتى بعد سقوط بغداد في أيدي المغول من خلفاء العباسيين الذين انتقلوا إلى مصر(٦٦) سوى خليفة واحد هو الحاكم بأمر الله العباسي ثاني الخلفاء العباسيين بمصر(٦٧).

موكب الخلفاء في موسم الحج :

ومن أعظم مواكب الخلفاء العباسيين على الإطلاق موكب الحج، ولاسيما إذا صحبهم الخليفة[٦٨]، فكان الحجاج يجتمعون في باب الكوفة ببغداد من مختلف الأمصار الإسلامية الشرقية، وخاصة أهل العراق، وفارس، وخراسان، وقد أعدوا عدتهم من الإبل والكسى، وقرب الماء، والطعام الذي كان يتكون من الأقراص المعجونة باللبن والسكر والكعك والفواكة اليابسة وغيرها من طعام الحاج، ومعهم شرذمة من الجند لحراستهم، ويسير في مقدمة هذا الموكب هوادج يعلوها قباب مزينة بالديباج المطرز بالذهب يركب في أحدها الأمير[٦٩] المولى على الحجاج[٧٠].

ولاشك أنه كان لخروج الخليفة إلى موقف الحجاج موكب ليس أحفل منه في مواكب الملوك، ويصف لنا أحد الباحثين[٧١] موكب الخليفة أبى جعفر المنصور بقوله " ولما كان الظهر وقد غصَّت بالناس المواقف وضاقت بهم الساحات ضُرب البوق إيذانًا بركوب أبى جعفر، فلم يلبث أن أقبل مرتفعًا على فيل أبيض قد استرسلت عليه الفضة، وهو جالس في هودج منزل بالأصداف اللامعة، وعلى القبة أستار من الديباج يتخللها القصب البرّاق، وكان في يده قضيب الخلافة وفي الأخرى الخاتم وعلى كتفه بردة حضرة النبي (ص)، وهي غير البردة التي كانت لبني أمية يلقونها على أكتافهم في جلوسهم وركوبهم لأنها فقدت بفقدان الخلافة منهم، وكان معاوية قد اشتراها من آل زهير بن أبي سلمى بأربعين ألف درهم، وإنما هذه البُردة قد أعطاها النبي (ص) لأهل الأيْلَة لتبقى عندهم بركة فاشتراها أبو جعفر المنصور بثلاثمائة دينار واتخذها من شعار الخلافة موضع البردة التي كانت عند الأمويين، وأما الفيلة فإنه لم يسبقه أحدٌ من ملوك العرب إلى اتخاذها في المواكب ... وكان يصحب أبا جعفر جماعة من الأمراء ووراءهم الإبل التي يظعنها حريمه وأهل بيته وفيهم موسى بن المهدي حاجًا ومعهم حرس خاص بهم، يحملون الرايات السود ".

" فلما وصل موكب أبى جعفر إلى موقف الحجاج ارتفعت أصواتهم بالدعاء له وعلت ضجتهم بالتكبير والتهليل، فكان يستشعر الواقف من عزة الإسلام مالا يخالج النفس أعظم منه ولاسيما أن ليس من فروض العبادة منه ما تظهر فيه أبهة الدولة إلاّ الحج الشريف، فلما وقف القواد والأمراء أوصاهم بالسهر على مصالح الرعية ".

أما هارون الرشيد فكان يصحبه في موكب الحج كبار رجال الدولة، وكـــان هارون يهتم بكل ما تحتاجه القافلة في سيرها إلى الحجاز حتى بالثلج ـــ الذي كان المهدي أول من حمله إلى الحجاز ـــ[٧٢]، هذا فضلاً عن اهتمامه بتركيب الشقاديف على الجمال للعب الشطرنج، وكان هارون أول من أباح التسلية به في الإسلام[٧٣].

عطاء أهل الحجاز :

وكان مجيء الخلفاء العباسيين إلى الحجاز مجالاً لسعادة أهله لكثرة أعطياتهم لهم، فعندما حج المهدي عام ١٦٠هـــ/٧٧٦م قسم في أهل مكة والمدينـــة عطـــاءً كثيرًا[٧٤] ذكره ابن كثير[٧٥] بقوله " وفرق المهدي في أهل مكة مالاً كثيرًا جدًا كان قد قدم معه ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب، وجاء من مصر ثلثمائة ألـــف دينار، ومن اليمن مائتا ألف دينار فأعطاها كلها في أهل مكة والمدينة ".

على أن العطاء بلغ غايته في عهد هارون الرشيد حتى وصف بأنه لـــم يُـــرَ خليفة قبله أكثر عطاءً منه[٧٦]، وقد امتدح المقريزي[٧٧] عطاء الرشيد بقوله " ولـــم يُرَ خليفة قبله أكثر عطاءً منه ولو قيل للدنيا متى أيام شبابك لقالت : أيام هـــارون الرشيد "، وقد أُطلق على أحد الأعوام التي حج فيها الرشـــيد " بعـــام الأعطيـــات الثلاث" لكثرة ما بذل فيه، فيذكر ابـــن الأثيـــر[٧٨] أنـــه " فـــي هـــذه الســـنة (أي ١٨٦هـــ/٨٠٢م) حج بالناس هارون الرشيد: سار إلى مكة من الأنبار فبدأ بالمدينة فأعطى فيها ثلاثة أعطية، أعطى هو عطاء، ومحمد الأمين عطاء، وعبدالله المأمون عطاء، وسار إلى مكة فأعطى أهلها، فبلغ ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ".

هذا وقد شاركت نساء الخلفاء في العطاء لأهالي الحجاز، ومنهن السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد التي بلغت نفقاتها في إحدى حجاتها مليون دينار، وعندما رفع إليها وكيلها حساب النفقة نهته عن ذلك وقالت " ثواب الله بغير حساب "[٧٩].

ولم يقتصر العطاء لأهالي الحجاز على الخلفاء العباسيين ونسائهم بل قلـــدهم وزراؤهم وبخاصة البرامكة الذين شاركوا هارون الرشيد في عام الأعطيات، فيُذكر أنه عندما جلس الرشيد في مكة للعطاء جلس معه يحيى البرمكـــي فـــأعطى مثـــل عطائه، ولما جلس الأمين جلس معه الفضل وأعطى مثل عطائه، كـــذلك أعطـــى

جعفر مثل عطاء المأمون، ثم استرسلوا في سعة الهبات حتى انصرف الناس عن مدح الخليفة إلى قول الشعر في مدح هؤلاء الوزراء فصاروا ينشدون :

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت   بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

وكان لكثرة هذا العطاء أثره في جعل هارون الرشيد يتحول عليهم خوفًا من استمالتهم الناس بما وسعوا له من الجود[٨٠].

وبالإضافة إلى العطاء الذي أجزله الخلفاء العباسيين على أهالي الحجاز في موسم الحج كان يأتيهم المال بانتظام أيضًا من مصر والعراق واليمن، وإن كان المال الذي يأتي من مصر هو الأهم حيث كانت مصر لا تقدم المال فقط وإنما أيضًا القمح، وكان ديوان العطاء قد بقى بالمدينة ليعطي أهله[٨١].

جهود الخلفاء العباسيين في توفير الراحة لقوافل الحجاج :

حرص خلفاء العصر العباسي الأول على توفير الراحة لهم وللحجاج في طريق الوصول إلى الحجاز، فأمروا ببناء الاستراحات في كل منزلة ينزلونها، ويذكر المقريزي[٨٢] ذلك بقوله " كان الخلفاء يُبنى لهم في كل منزلة ينزلونها بطريق مكة دار ويعد لهم فيها سائر ما يحتاج إليه من الستور والفرش والأواني وغير ذلك ".

وكان أبو العباس السفاح أول من أمر ببناء هذه القصور على طول الطريق إلى مكة[٨٣]، كذلك اتخذ أبو جعفر المنصور المنازل، ولعلها دور ينزلها الخليفة دون سائر الناس وجعل فيها مُشرف يُعرف بمتولي المنازل[٨٤].

وعندما تولى الخليفة المهدي شئون الخلافة ترك هذه المنازل وأعاد بناء الاستراحات (القصور) من جديد، كما أمر بتوسيع ما كان قد بُنى منها زيادة في راحة الحجاج، وقد ذكر لنا عدد من المؤرخين أن الخليفة المهدي أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التي بناها السفاح من القادسية إلى زُبالة، وأمر باتخاذ المصانع[٨٥] في كل منهل منها وتحديد الأميال وحفر الركايا[٨٦] وولي ذلك يقطين بن موسى[٨٧] وقد ظل الاهتمام بأعمال الطريق مدة عشر سنوات تقريبًا " أي إلى سنة إحدى وسبعين ومائة "[٨٨]، بالإضافة إلى ذلك فقد أمر المهدي[٨٩] بإقامة

البريد بين مكة والمدينة واليمن وبغداد ونسق نظامه واهتم بطرقه ومنازله وأقام فيه البغال والإبل[٩٠]. وفي عهده صار الطريق من العراق إلى الحجاز من أرفق الطرق وآمنها وأطيبها[٩١].

أما هارون الرشيد فقد اهتم أيضًا براحة الحجاج، فأقام السرادقات ووضع فيها الأثاث وزودها بأنواع الطعام والشراب[٩٢]، ولم يقتصر الاهتمام بالطريق على خلفاء بني العباس بل شاركتهم نساؤهم أيضًا في الاهتمام براحة الحجاج أثناء رحلاتهم، ومنهم السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد التي يُنسب إليها " المُحَدث " وهو منزل في طريق مكة (بعد النقرة على ستة أميال منها) فيه قصر وقباب متفرقة، وفيه بركة وبئران ماؤهما عذب[٩٣]، بالإضافة إلى ذلك فقد أمرت بتحديد معالم الطريق بالأميال ليعرف الحجاج المسافات التي قطعوها، فضلاً عن حفر الآبار واتخاذ المصانع " أحواض ماء المطر " على طول الطريق من بغداد إلى مكة[٩٤]، وقد وصف لنا ابن جبير[٩٥] هذه الآثار في رحلته بقوله " وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج هارون وابنة عمه، انتدبت لذلك مدة حياتها فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذا الطريق والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها ".

وفوق ذلك اهتم خلفاء العصر العباسي الأول بتوفير المياه في مكة وضواحيها، وكان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التي بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أجرى إلى مكة عيونًا عشرة في قنوات عملها لذلك، ولما حج عبدالله بن عامر جمع العيون وصرفها في عين واحدة واتخذ حياضًا بميدان عرفة أجرى إليها ماء العين، فبقى الناس في راحة من جهة الماء بمكة وعرفة، وفي آخر دولة بني أمية عام ١٣٢هـ/٧٤٩م تخربت العيون التي كانت تمد العين الكبيرة فانقطعت المياه عن أهل مكة وأصابهم كما أصاب الحجاج من جراء ذلك جهد شديد حتى كانت القربة تباع بعشرة دراهم ورجع الناس إلى مياه الآبار كما بدأوا[٩٦].

وفي العصر العباسي الأول قام الخليفة هارون الرشيد بشراء عين تسمى عين الرشا وتقع في أعلى مكة داخل شعب الخرمانية، وقد أمر الخليفة بإيصال قنوات من هذه العين إلى قنوات معاوية، وقد استفاد سكان مكة والحجاج من هذه العيون، ويعتبر هذا العمل من أهم الخدمات التي قدمها الرشيد لسكان مكة والوافدين إليها(٩٧).

لكن ما لبث أن تعرضت الآبار المحيطة بمكة لموسم الجفاف، فاستغل بعض من أهل مكة الموقف لصالحهم وأخذوا في إحضار المياه من خارج مكة وبيعها للحجاج بأسعار باهظة، وعندما حجت زبيدة زوج هارون الرشيد وشاهدت معاناة الحجاج في الحصول على الماء أمرت والي مكة بدراسة مصادر المياه وكيفية وصولها إلى مكة، وبعد أن أُجريت هذه الدراسة تبين أنه لا يمكن دخول ماء الحل إلى الحرم بسبب صعوبة جغرافية مكة وبخاصة المنطقة المحيطة بالحرم، لذا رأى والي مكة والصناع زيادة حفر الآبار داخل الحرم، ولم تقتنع السيدة زبيدة بهذه الدراسة فأوفدت من بغداد المهندسين والصناع وألزمتهم بضرورة إيصال مياه عيون الحل إلى داخل الحرم وأظهرت الدراسة أن هناك عيونًا خارج الحرم منها عين حنين وعين وادي النعمان يمكن الاستفادة منهما في سقاية أهل مكة وأمكنة المشاعر، فأمرت السيدة زبيدة ببناء قناة يجرى فيها الماء مخترقة الجبال والسهول، وأقامت على قمم الجبال بركًا مختلفة لاستقبال مياه الأمطار وإيصالها بالقناة الرئيسية لمجرى العين حتى كثرت المياه ولم يعد للناس شكوى من نقص الماء، ويُروى أن السيدة زبيدة أنفقت في سبيل ذلك أموالاً طائلة قدرت بألف ألف وسبعمائة ألف دينار(٩٨).

هذا وقد ظل الخلفاء العباسيون يباشرون هذه العيون، وكلما بلغهم حدوث خراب فيها أو في قنواتها يرسلون من يعمرها(٩٩).

توسعة الحرمين الشريفين :

اهتم أيضًا خلفاء العصر العباسي الأول بتوسيع المسجد الحرام وعمارته، حيث أمر الخليفة أبو جعفر المنصور والي مكة زياد بن عبيد الله الحارثي بزيادة المسجد الحرام فوسعه بقدر نصفه عام ١٣٩هـ/٧٥٦م من جانبيه البحري والغربي، وجعل

بهذه الزيادة رواقًا واحدًا فأصبح طول المسجد ٣٧٠ ذراعًا وعرضه ٣١٥ ذراعًا[١٠٠]، وسقف أروقته بخشب العرعر الذي أتى به من الطائف[١٠١]، كذلك قام بتزيينه بالذهب وأنواع النقوش وبنى مئذنة بني سهم، وعندما حج المنصور عام ١٤٠هـ رأى حجارة الحجر بادية فأمر بتغطيتها بالرخام ليلاً حتى إذا أصبح لا يراها إلاّ مغطاة وقد فعل زياد (والي مكة) ما أمر به على السراج قبل أن يصبح الصباح[١٠٢].

أما الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور فقد أمر حين حج عام ١٦٠هـ/٧٧٦م بتعمير المسجد الحرام وتوسعته وزيادة ارتفاع أروقته، وتنفيذًا لذلك فقد ترك أموالاً كثيرة عند قاضي مكة " محمد بن عبدالرحمن المخزومي " ليقوم بتجديد بناء المسجد وتوسعته، وبالفعل فقد زاد المسجد زيادة كبيرة من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الموضع الذي انتهى إليه أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي[١٠٣].

وعندما حج المهدي حجته الثانية عام ١٦٤هـ/٧٨٠م رأى الكعبة في ناحية من المسجد وليست في وسطه بسبب التوسعة فكره ذلك وأحب أن تكون بوسط المسجد فأمر المهندسين بتوسعته حتى تتوسط الكعبة المسجد، ولو استنفذ الأمر ما في بيوت المسلمين من أموال، ثم خرج المهدي إلى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد وولي العمارة " يقطين بن موسى " فاستمر العمل إلى أن مات المهدي عام ١٦٩هـ/٧٨٥م وولي الخلافة ولده موسى الهادي فأمر بإتمامها وروعى في ذلك إمكان تصريف مياه السيول إذا حدثت[١٠٤]. وقد أنفقت أموالٌ عظيمة في تلك التوسعة بحيث صار ثمن الذراع المربع مما أدخل في المسجد ٢٥ دينارًا و١٥ دينارًا لما أدخل في الوادي[١٠٥].

وفي خلافة هارون الرشيد عمل أمير مكة مظلة للمؤذنين على سطح المسجد ليؤذنوا فيها يوم الجمعة وكانوا يؤذنون قبل ذلك على السطح صيفًا وشتاءً[١٠٦].

أيضًا أمر الخلفاء العباسيون بعمارة وتوسعة مسجد الرسول (ص)، ففي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور عام ١٤٠هـ تصدع جدار المسجد فأمر بتجديده.

وفي عهد الخليفة المهدي عام ١٦١هـ/٧٧٧م ضاق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة "جعفر بن سليمان بن علي العباسي " بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع، والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراعًا، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل(١٠٧).

كذلك أمر الخليفة المهدي بنزع المقصورة منه ـ وهو المكان الذي كان بجوار المنبر حيث كانت المقاصير من عمل الأمويين بقصد حماية خلفائهم أو عمالهم في أثناء الصلاة أو بمثابة مكان خاص للمشاورة ـ كما أمر المهدي بنزع المقاصير من المساجد الأخرى، وربما فعل ذلك إتباعًا لسنة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، ولأنه لا توجد تفرقة بين الحكام ورعاياهم في المسجد، كذلك أراد المهدي أن ينقص منبر الرسول (ص) ويعيده إلى ما كان عليه ويلغي ما زاده معاوية في درجاته، إلاَّ أن المهدي تركه خوفًا عليه من أن ينكسر(١٠٨)، وكتب إلى الآفاق بتقصير المنابر إلى المقدار الذي كان عليه منبر الرسول وهو درجتان ومقعد(١٠٩).

أما هارون الرشيد فكان أول من أمر بنقل منبر الرسول إلى بغداد حيث أصبح جزءًا من علامات الخلافة العباسية(١١٠).

كسوة الكعبة :

اهتم الخلفاء العباسيون(١١١) بكسوة الكعبة، وكان الخليفة المهدي أول من كساها منهم عام ١٥٩هـ بكسوة من القباطي شاهدها الفاكهي وقال عنها " ورأيت كسوة من قباطي مصر(١١٢) مكتوبًا عليها (بسم الله بركة من الله، مما أمر به عبدالله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع من طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة تسع وخمسين ومائة) "(١١٣).

وعندما حج المهدي عام ١٦٠هـ رفع إليه حجبة البيت أنهم يخافون على الكعبة أن تتهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، ومنها كسوة هشام بن عبدالملك المصنعة من الديباج الثخين ـ وكانت الكسوة لا تنزع من الكعبة في كل سنة كما هو العمل الآن، بل تلبس كسوة فوق تلك الكسوة ـ فلما قضى المهدى(١١٤) حجه أمر بنزع كسوة الكعبة وطلى جدرانها بالمسك والعنبر وكساها كسوة جديدة من الحرير(١١٥).

وعندما تولى هارون الرشيد مهام الخلافة اهتم أيضًا بكسوة الكعبة فكساها أيضًا القباطي وقد وصف الفاكهي هذه الكسوة بقوله " ورأيت أيضًا كسوة لهرون الرشيد من قباطي مصر مكتوبًا عليها (بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبدالله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونة سنة تسعين ومائة) "(١١٦).

كذلك اهتم الخليفة المأمون بكسوة الكعبة، وكان أول من كساها بثلاث كساوى(١١٧) : الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي يوم هلال رجب، والديباج الأبيض(١١٨) الذي أحدثه المأمون يوم ٢٧ من رمضان(١١٩).

وكانت الكسوة ترسل من بغداد في موكب اسمه موكب الكسوة، أما في عهد المأمون فكانت تحمل برفقة أمير الحاج في محمل خاص بها(١٢٠).

هدايا الكعبة :

ولعظم مكانة الكعبة المشرفة عند الناس كان الخلفاء العباسيون(١٢١) يتقربون إليها بالهدايا الجزيلة والهبات الجليلة، فبعث الخليفة " أبو العباس السفاح " بالصفحة الخضراء فعلقت فيها، وأرسل أخوه الخليفة " أبو جعفر المنصور " بالقارورة الفرعونية، أما الخليفة " محمد الأمين بن هارون الرشيد " فقد أرسل إلى عامله على مكة ١٨٠٠ دينار ليضربها صفائح توضع على بابي الكعبة، فصفحهما بها واتخذ منها مسامير وحلقتين للباب.

كذلك بعث الخليفة المأمون بالياقوتة التي تعلق في وجه الكعبة في كل موسم بسلسلة من ذهب، أيضًا أهدى الخليفة المعتصم العباسي عام ٢١٩هـ/٨٣٤م قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهب، وكان والي مكة يؤمئذ من قِبله هو " صالح بن العباس " فأرسل إلى الحجبة ليسلمهم القفل فأبوا أن يأخذوه منه، وأراد أن يأخذ القفل الأول ويرسل به إلى الخليفة فأبوا أن يعطوه، وتوجهوا إلى بغداد، وتحدثوا مع المعتصم في ذلك فترك قفل الكعبة عليها، وأعطاهم القفل الذي كان بعث به إليها فاقتسموه بينهم(١٢٢).

ولم يقتصر الأمر على تعليق الهدايا بالكعبة، بل كـان الخلفـاء العباسـيون يعلقون بها أيضًا العهود[١٢٣] الهامة ومنها الكتابان اللذان أخذهما هـارون الرشـيد على أولاده بولاية العهد[١٢٤]، وطلب من الحجبة حفظهمـا[١٢٥] ومنـع مـن أراد إخراجهما والذهاب بهما[١٢٦].

وهكذا نرى حرص خلفاء العصر العباسي الأول على أداء هذا الدور الديني، ولعل هذا هو السر في بقاء خلافتهم مدة طويلة وتمتعها بمركز الزعامة الروحية في العالم الإسلامي حتى بعد زوالها من بغداد.

الخاتمـة :

أصبح العباسيون منذ أواخر الدولة الأموية يعتقدون أنهم وحدهم أحق بخلافة الرسول (ص) ــ دون أبناء أعمامهم العلويين ــ لأنهم أولاد العباس عم الرسول (ص) والوارث له يوم وفاته، وقالوا إن العم أحق بوراثة ابن أخيه من أبناء العم، لذلك أكدوا على قرابتهم من الرسول (ص) وأنهم من عصبة الأنبياء.

ومن هذا المنطلق حرصوا على صبغ خلافتهم بطابع ديني وإكسابها نوعًا من القداسة، ولكي يزيد الخلفاء العباسيون من قداستهم أحاطوا أنفسهم بهالة من الدين وجذبوا الفقهاء والعلماء حولهم وتلقبوا بالأئمة وارتدوا بردة الرسول (ص) كرمز لسلطتهم الدينية وحرصوا على حضور مناسك الحج لتأكيد زعامتهم الروحية للعالم الإسلامي، وكان خروج الخلفاء لموسم الحج في موكب من أعظم المواكب الدينية في العصر العباسي الأول، أما وصولهم إلى بلاد الحجاز فكان مصدرًا لسعادة أهله لإغداقهم العطاء؛ عليهم بصفة عامة وعلى بني هاشم بصفة خاصة، وذلك لكسب ولائهم وتأييدهم للبيت العباسي.

ولم تكن إقامة العباسيين في الحجاز قاصرة فقط على تأدية مناسك الحج، بل حرصوا أيضًا على تثبيت مركزهم السياسي في هذا الإقليم الذي شهد بعض الثورات التي قام بها العلويون من أجل المطالبة بحقهم في الخلافة.

ولما كان الاهتمام بالحج وما يتعلق به جزءًا من واجب الخلفاء العباسيين الديني الذي شرفوا به قبل الإسلام وبعده، لذلك اعتنوا أثناء تواجدهم في مواسم الحج بتوفير الراحة للحجاج وتمهيد الطريق من بغداد إلى مكة المكرمة وبناء العديد من الاستراحات وتوفير المياه داخل مكة المكرمة، هذا فضلاً عن اهتمامهم بالحرمين الشريفين وتوسعتهما وإحضار المهندسين للإشراف على بنائهما، بالإضافة إلى عنايتهم بكسوة الكعبة وتحليتها بأنفس الهدايا.

ومن كل ما تقدم نرى أن خلفاء العصر العباسي الأول قد استفادوا من الدين لتثبيت مركزهم السياسي، وفي ذلك يقول ابن طباطبا " إن هذه الدولة قد ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك، فكان أخيار الناس يطيعونها تدينًا والباقون يطيعونها رهبة ورغبة ".

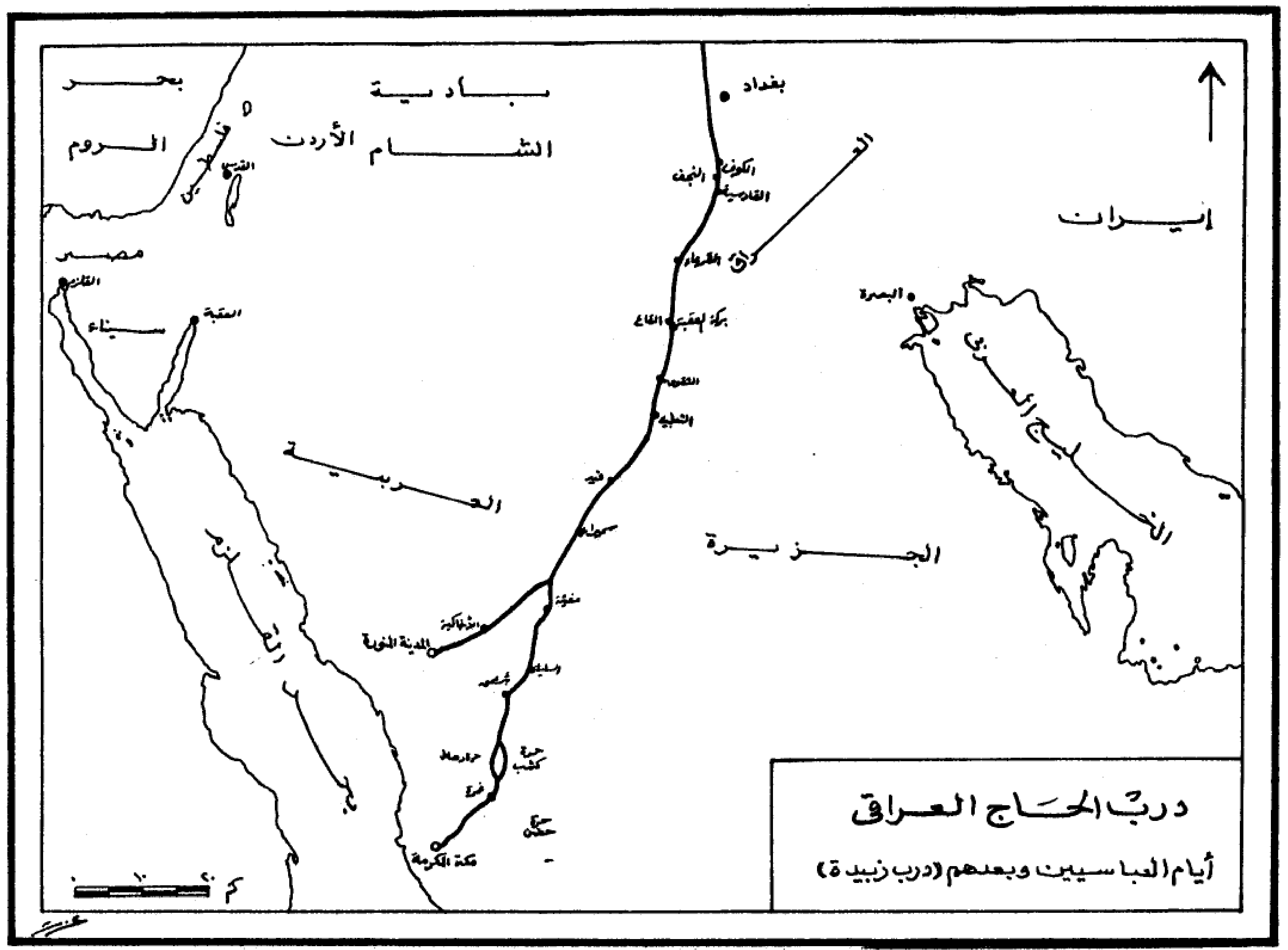

المصدر / حسين مؤنس - أطلس تاريخ الاسلام - ص

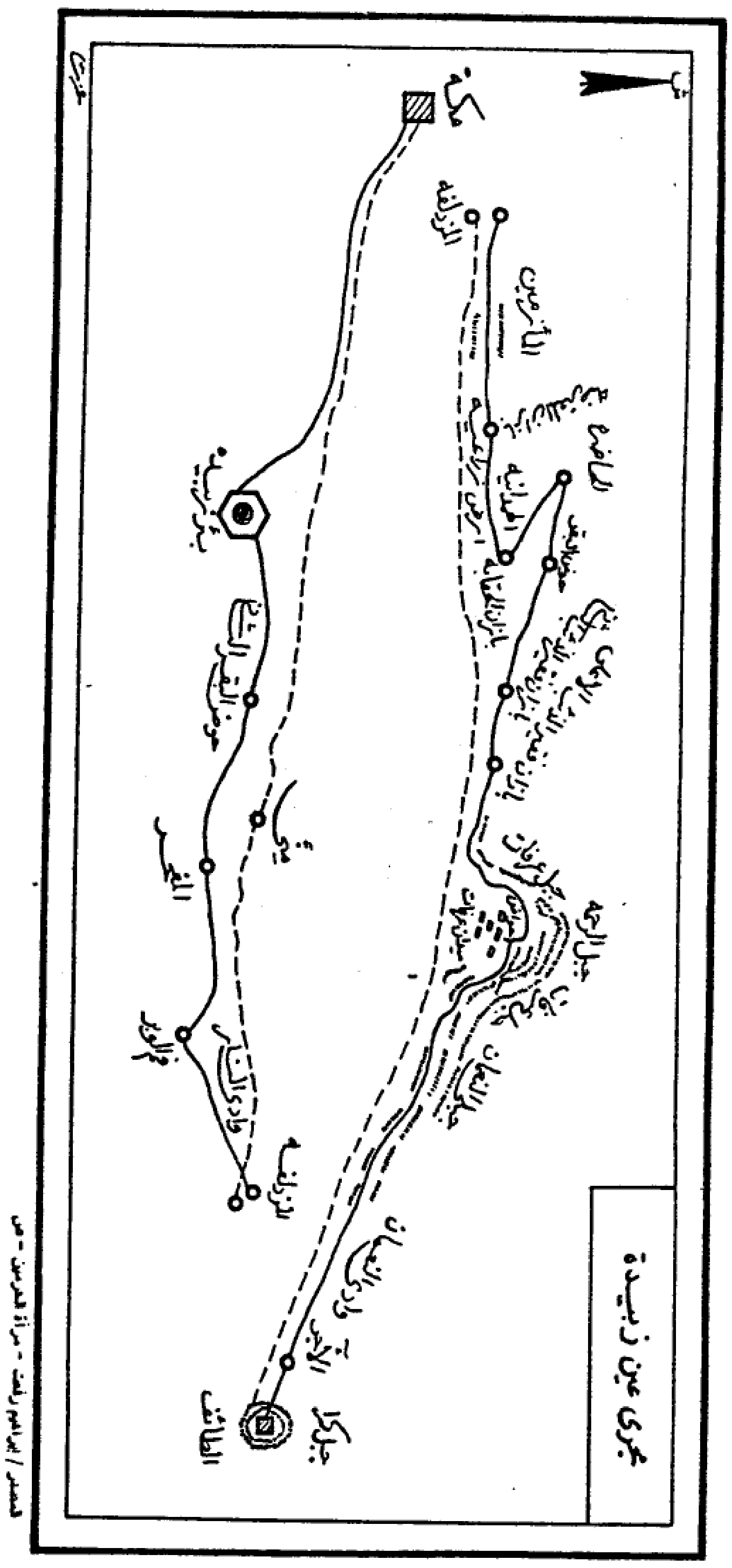
مجرى عين زبيدة
مكة
الطائف

الهوامش :

١- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، القاهرة ١٩٨٤م، ص٢٢٠.

٢- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، مج١، دار صادر، بيروت، ص ص٢٤٦-٢٤٧؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١، ص٨٣؛ البلاذري : أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ج١، ص٧٨؛ Encyclopaedia of Islam, V.I, leyden, p. 52.

٣- ذكر فاروق عمر : أنه بعد وفاة عبدالمطلب بن هاشم خلفه ابنه الأكبر أبو طالب على الواجبات الدينية للحرم، ولم يظهر أبو طالب براعة سياسية وكفاءة، ولذلك تنازل عن السقاية لأخيه الأصغر العباس، (انظر العباسيون الأوائل، بيروت، ١٩٧٠م، ج١، ص١٦٧).

٤- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني، ج١، دار التوفيقية بالأزهر، ١٩٧٨م، ص١٨٤؛

Encyclopaedia of Islam, V.I, p. 10

٥- نفس المصدر، ج١، ص١٨٤.

٦- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص ص٧٤ ، ٧٥.

٧- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٢، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١١.

٨- شمس الدين السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ١٩٧٩م، ص٢٨٦؛ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٦٠م، ص١٧١؛ فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج١، ص٣٩؛

Shaban. M.A: The Abbasid Revolution, Cambridge, 1970, p.150

٩- شمس الدين السخاوي : التحفة اللطيفة، ج٢، ص٣٣٨؛ السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول، ج٣، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ، ص٦؛ فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج١، ص٣٩.

١٠- انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، مج٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٠٧.

١١- فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج١، ص٤٠؛ السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول، ج٣، ص٦.

Shaban. M.A: The Abbasid Revolution, Cambridge, p.150

١٢- الكيسانية نسبة إلى كيسان رئيس حرس المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد نادى أصحاب هذه الفرقة بأن الإمام بعد الحسين هو أخوه محمد المعروف بابن الحنفية (انظر الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٩٧).

١٣- ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر، ١٣١٧هـ، ص١٢٧؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٠؛ عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص ص٢٢، ٢٣؛ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٥٣؛

Shaban. M.A: The Abbasid Revolution, Cambridge, p.150, 151

١٤- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١١.

١٥- الدينوري : الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد، ص٣٣٢؛ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص ص١٧٢، ١٧٣؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، د.ت، ص١٥.

١٦- أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٢٣.

١٧- ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية، ص١٢٧؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٣؛ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية، ص١٥٣.

١٨- الدينوري : الأخبار الطوال، ص٣٣٩ وما والاها؛ السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول، ج٣، ص ص٢٨ ، ٢٩؛

Encyclopaedia of Islam, V.I, p. 14.

١٩- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، طبعة ١٩٣٩م، ج٦، ص٨٧؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٩؛

Cambridge : Medieval History, v.2, p. 364 ; Gibb. H.A.R: Mohammedanism, New York, 1949, p. 7.

٢٠- فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج١، ص١٧٨.

٢١- نفس المرجع، ج١، ص١٦٨.

٢٢- نفس المرجع، ج١، ص١٧٣؛ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية، ص٢٨١.

٢٣- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٧٨.

٢٤- فاروق عمر : المرجع السابق، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

٢٥- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٢٤؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٥١؛ عطية أحمد القوصي : تاريخ الدولة العباسية، دار الثقافة العربية، د.ت، ص٩٩.

٢٦- ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية، ص ص ١٤٦، ١٤٧؛ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص١٩٥؛ فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج١، ص ص١٧٠، ١٧١.

٢٧- ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية، ص١٤٨؛ فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج١، ص١٧٤.

٢٨- نفس المرجع، ج١، ص١٩٧.

٢٩- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٨؛ حسن إبـراهيم حسـن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٢٥؛ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العباسية، ص١٩٥.

٣٠- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٦٠ وما والاها؛ أحمد مختـار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٥١.

٣١- ابن دحية الكلبي : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيـق عبـاس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦م، ص٢٩؛ السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول، ج٣، ١١٢؛ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي : الدولة العباسية، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧م، ص٢٩؛ عطية أحمد القوصي : تـاريخ الدولـة العباسية، ص١٠١.

٣٢- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٨٤ وما والاها؛ احمد مختـار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ص٥١، ٥٢.

٣٣- أحمد أمين : ضحى الإسلام، ج٣، القـاهرة، ١٩٣٥م، ص ٣٨٦؛ السـيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول، ج٣، ص١١٣ وما والاها.

٣٤- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٣٣-١٣٤؛ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فـي الدولـة العربيـة الإسـلامية، ص١٩٩؛ عطية أحمد القوصي : تاريخ الدولة العباسية، ص١٠٣.

٣٥- أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ص٥٢ ، ٥٣.

٣٦- لم يكن انضمام أهل الحجاز إلى محمد بسبب ميولهم العلوية، ولكن بسـبب معاداتهم للدولة العباسية دولة أهل العراق وخراسان (انظر فاروق عمـر: العباسيون الأوائل، ج١، ص١٩٧).

٣٧- الدينوري : الأخبار الطوال، ص٣٨٥؛ فاروق عمر : العباسيون الأوائـل، ج١، ص٢٠٢، ٢٠٣؛ أحمد مختـار العبـادي : فـي التـاريخ العباسـي والفاطمي، ص ص٥٢، ٥٣؛ عطية أحمد القوصي : تاريخ الدولة العباسية، ص١٠٣.

٣٨- فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج١، ص ص٢٠٢، ٢٠٣.

٣٩- نفس المرجع، ج١، ص٢١٣؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٦٧.

٤٠- الدينوري : الأخبار الطوال، ص٣٨٦؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤١٠ وما والاها؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص١٣٨ ، ١٣٩.

٤١- نفس المرجع، ج٢، ص١٤٠؛ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص ص٢٠١، ٢٠٢.

٤٢- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٠.

٤٣- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص٦٧ ، ٦٨.

٤٤- قام أبو جعفر المنصور بتأدية فريضة الحج عام ١٣٦هـ في عهد أبي العباس السفاح الذي أوعز إليه بأن تكون له إمارة الحج بدلاً من أبي مسلم الخراساني الذي كان يرى نفسه ندًا للمنصور، وقد استاء أبو مسلم من هذا التصرف، وقال " أما وجد الخليفة سنة أخرى يولي أخاه الحج فيها "؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٦، تحقيق حسين الأسد، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٠، ٦١؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، القسم الأول، دار الكتاب اللبناني، ص ص٣٨٣، ٣٨٤؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٤٥؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص١٠٢، ١٠٣.

٤٥- كان المنصور إذا لم يحج يذهب إلى بيت المقدس ويصلي في مسجدها، عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٠، حاشية ١.

٤٦- انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج٦، بيروت، د. ت، ص١٩ وما والاها؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، بيروت، د.ت، ص٧.

٤٧- ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠م، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢٧.

٤٨- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ص٣٤٨، ٣٤٩.

٤٩- نفس المصدر، ج٦، ص ص٣٤٩، ٣٥٠؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص٣٩.

٥٠- ابن دحية الكلبي : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص٢٩؛ أبوالفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٧.

٥١- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٦٥؛ المقريزي : الذهب المسبوك، ص٧٣.

٥٢- سليمان عبدالغني مالكي : بلاد الحجاز، الرياض، ١٩٨٣م، ص١٦٢.

٥٣- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٧٢؛ المقريزي : الذهب المسبوك، ص٧٦.

٥٤- نفس المصدر، ص٧٨.

٥٥- نفس المصدر، ص٨٢.

٥٦- نفس المصدر، ص٨١.

٥٧- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، مج٢، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٤٣٠؛ المقريزي : الذهب المسبوك، ص٧٩ وما والاها.

٥٨- خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني على هارون الرشيد عام ١٧٨هـ وانتصر على جيوشه أكثر من مرة، فقتل والي نصيبين، ثم مضى إلى أرمينية وأذربيجان وعاث فيها فسادًا، ثم عاد إلى الجزيرة عام ١٧٩هـ وعبر نهر دجلة حتى وصل إلى حلوان واشتدت شوكته وكثر أتباعه، فبعث الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني وسرعان ما حلت الهزيمة بجند الوليد بن طريف وقتل. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٦٥.

٥٩- كان الخلفاء العباسيون إذا ذهبوا إلى المدينة ينزلون دار العمالة في المدينة، وهي دار جدهم العباس التي اتخذها مروان مركزًا له ومن يومها سميت بدار مروان، وكانت في هذه الدار حجرة لجلوس الخليفة تُعرف بحجرة القبة العظمى لأنه كان عليها قبة عظيمة أروقتها مغطاة بالستور وأنها كانت

توقد في بعض نواحيها بالشمع، فكان الخليفة يجلس على بساط وليس تحته وسادة ولا مصلى تواضعًا. عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص ص٢٢٤، ٢٢٥.

٦٠- ذكر المقريزي أنه لم يعرف من ملوك الدنيا ملكًا حج ماشيًا سوى ملكين: هرقل بن هرقل الذي حج من حمص إلى إيلياء ـ بيت المقدس ـ ماشيًا ووافاه كتاب الرسول (ص) في سفره هذا يدعوه إلى الإسلام، والملك الثاني هارون الرشيد، (الذهب المسبوك، ص٨٠).

٦١- كان هذا القسم قد أقسمه الرشيد لأخيه الهادي بخصوص جارية لموسى الهادي تسمى " أمة العزيز " وكان موسى يحبها حبًا شديدًا، وكانت تحسن الغناء، وبينما كانت تغني له يومًا خشي أن يموت ويتزوج بها هارون الرشيد، فاستدعى هارون وأخبره بما وقع في خاطره واستحلفه بالأيمان المغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشيًا حافيًا أن لا يتزوجها، فحلف له واستحلف الجارية فحلفت له، ومات الهادي بعد شهرين ثم تزوجها الرشيد وكفر عن قسمه بالحج ماشيًا. ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص١٦٤.

٦٢- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج٣، ص١٧٣؛ يوسف أحمد : المحمل والحج، ج١، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ص١٨٨، ١٨٩؛ فريد رفاعي : عصر المأمون، دار الكتب، ١٩٢٧م، ص٢٤٤ وما والاها.

٦٣- الأزرقي : أخبار مكة، مكة، ١٩٩٤م، ص١٥٤؛ علي حبيبة : العباسيون في التاريخ، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢١٨.

٦٤- يحدثنا المسعودي عن آخر حجة لهارون الرشيد بقوله " وفي سنة ثمان وثمانين ومائة حج الرشيد، وهي آخر حجة حجها فذُكر عن أبي بكر بن عياش ـ وكان من عليه أهل العلم ـ أنه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة في حال منصرفه من هذه الحجة : لا يعود إلى هذا الطريق ولا خليفه من بني العباس بعده أبدًا، فقيل له : أضرب من الغيب ؟ قال نعم، قيل : بوحي، قال نعم، قيل : إليك ؟ قال لا إلى محمد (ص) وكذلك أخبر عنه على المقتول في هذا الموضع وأشار إلى الموضع الذي قتل فيه علي بالكوفة رضي الله

عنه. (مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج٣، ١٩٦٤م، ص ص٣٥٣، ٣٥٤).

٦٥- يرى جمال الدين الشيال أن عدم قيام الخلفاء بالحج بعد الرشيد يرجع إلى شغلهم بما أصاب الدولة من ضعف وانقسام، (المقريزي: الذهب المسبوك، ص٨٩، حاشية ٤).

٦٦- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٠.

٦٧- المقريزي : الذهب المسبوك، ص٨٩.

٦٨- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي، ج١، ص٢٢٠.

٦٩- ذكر الماوردي أن أمير الحاج ينظر في عشرة أشياء " أحدها جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرقوا، والثاني ترتيبهم في المسير والنزول وإعطاء كل طائفة منهم مقادًا حتى يعرف كل فريق منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانه إذا نزل، والثالث أن يرفق بهم في السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم ولا يضل عنه منقطعهم، والرابع أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ويتجنب أجدبها وأوعرها، والخامس أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعي إذا قلت. والسادس أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتى لا يختلطهم ذاعر ولا يطمع فيهم متلصص، والسابع أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج، بقتال إن قدر عليه أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه. والثامن أن يصلح بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين، والتاسع أن يقوم زائغهم ويؤدب خائنهم ولا يجاوز التعزير إلى الحد، والعاشر أن يراعى اتساع الوقت حتى يؤمن القوات ولا تلجئهم ضيقة إلى الحث في المسير، فإذا وصل إلى الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه، فإذا كان الوقت متسعًا عدل بهم إلى مكة ليخرجوا مع أهلها إلى المواقف، وإن كان الوقت ضيقًا عدل بهم عن مكة إلى عرفة خوفًا من فواتها فيفوت الحج بها ... " (الأحكام السلطانية، مصر، ١٢٩٨هـ، ص١٠٣ وما والاها).

٧٠- جميل نخلة المدور: كتاب حضارة الإسلام في دار السلام، مصـــر ١٨٨٨م، ص٦٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج٢، ص٤٣٩-٤٤٠.

٧١- جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام، ص٦٩ وما والاها.

٧٢- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج٦، ص٤٩.

٧٣- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٤.

٧٤- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، ص٤٤٤.

٧٥- البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣٢.

٧٦- المقريزي : الذهب المسبوك، ص٨٢.

٧٧- نفس المصدر، ص٨٢.

٧٨- الكامل في التاريخ، مج٦، ص١٧٢.

٧٩- عمر رضا كحالة : أعلام النساء، ج٢، مؤسسة الرسالة، ص٢٧.

٨٠- جميل نخلة المدور: كتاب حضارة الإسلام في دار السلام، ص٣٣٨-٣٣٩.

٨١- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٤.

٨٢- الذهب المسبوك، ص٦٩.

٨٣- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٢.

٨٤- المقريزي : الذهب المسبوك، ص ص٦٨، ٦٩.

٨٥- المفرد : المصنعة وهو مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر؛ (ابن منظور: لسان العرب، ج٤، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، ص٢٥٠٩).

٨٦- الركية : البئر تحفر، الجمع رُكى أو ركايا (ابن منظور : لســان العــرب، ج٣، ص١٧٢٢).

٨٧- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج٦، ص٥٥؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، ص٤٤٤.

٨٨- ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣٣.

٨٩- ذكر نظير حسان سعداوي أن بعض المؤرخين قد ظن خطأ أن الخليفة المهدي هو أول من رتب البريد في الإسلام ضاربين صفحًا على مجهودات أبيه أبي جعفر المنصور ومن سبقه من خلفاء بني أمية. (نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مطبعة مصر، ١٩٥٣م، ص٥٨).

٩٠- السيوطي : تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، محمد العثماني، دار القلم، بيروت، ص٣١٥؛ نظير حسان سعداوي : نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص٥٨.

٩١- ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣٣.

٩٢- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٣.

٩٣- عمر رضا كحالة : أعلام النساء، ج٢، ص ص٢٧ ، ٢٨.

٩٤- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٣.

٩٥- رحلة ابن جبير : دار الكتاب اللبناني، ج١، ص٢٢٣.

٩٦- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م، ص٢١٠.

٩٧- سليمان عبدالغني مالكي : بلاد الحجاز، ص١٣٣.

٩٨- نفس المرجع، ص ص١٣٤، ١٣٥؛ عمر رضا كحالة : أعلام النساء، ج٢، ص٢٧.

٩٩- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج١، ص٢١٤.

١٠٠- الفاكهي : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج١، مكة، ١٩٩٤م، ص ص١٦٢، ١٦٥.

١٠١- سليمان عبدالغني مالكي : بلاد الحجاز، ص١٦١.

١٠٢- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج١، ص٢٣٧.

١٠٣- الفاكهي : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ص١٦٥؛ سليمان عبدالغني مالكي : بلاد الحجاز، ص١٦٢.

١٠٤- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج٦، ص٧٦؛ إبـراهيم رفعـت : مـرآة الحرمين، ج١، ص٢٣٨.

١٠٥- الفاكهي : أخبار مكة، ص١٦٥.

١٠٦- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج١، ص٢٣٨؛ يوسف أحمـد : المحمـل والحج، ح١، ص١٤٨.

١٠٧- سليمان عبدالغني مالكي : بلاد الحجاز، ص١٦٩.

١٠٨- ابن كثير : البداية والنهاية، مج١٠، ص ص١٣٢، ١٣٣؛ عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢١-٢٢٢.

١٠٩- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص٤٤٤.

١١٠- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٢.

١١١- لم يكن الخلفاء العباسيون أو من كسوا الكعبة في الإسلام، فقد كساها النبي (ص) وأبو بكر الحبر اليمانية، وكساها عمر وعثمان القباطي المصـرية، وكساها عثمان أيضًا البرود اليمانية وهو أول من ظاهر لها بين كسـوتين، وكان عمر ينزع كسوتها كل سنة ويستبدل لها جديدة، ويقسم الأولى بـين الحاج، وكساها عبدالله بن عمر ما كان يجلل به بدنه من القباطي والحبرات والأنماط، وكساها كذلك معاوية. وكانت تكسى الـديباج يـوم عاشـوراء، والقباطي في اليوم التاسع والعشرين من رمضان، وكساها الديباج يزيد بن معاوية وابن الزبير وعبدالله بن مروان، وكساها هشام بن عبدالملك ديباجًا غليظًا، وأغلب كسوة من كان قبله من متاع اليمن. (الأزرقي : أخبار مكة، ص١٦٩-١٧٠؛ يوسف أحمد : المحمـل والحـج، ج١، ص٢٣٦-٢٣٧؛ إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج١، ص٢٨٢).

١١٢- كانت كسوة الكعبة تصنع في دور الطراز بالمدن المصرية وبخاصة تنيس وشطا وتونة ودمياط. (المقريزي : الذهب المسبوك، ص٧٤، حاشية ٤).

١١٣- المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج١، دار صادر، بيروت، ص١٨١؛ يوسف أحمد، المحمل والحج، ج١، ص٢٣٧.

١١٤- ذُكِرَ أن المهدي استفتى الإمام مالك في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناية ابن الزبير فقال مالك : دعها فإني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها على ما هي. (ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣٢).

١١٥- الأزرقي: أخبار مكة، ص١٧٦؛ المقريزي: الذهب المسبوك، ص ص٧٥،٧٣؛ جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام، ص١٠٧-١٠٨.

١١٦- المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج١، ص١٨١؛ يوسف أحمد : المحمل والحج، ج١، ص٢٣٨.

١١٧- كان الأمويون يرسلون كسوتين للكعبة : إحداها قباطي وأخرى من الحرير، الأولى في رمضان، والثانية في المحرم. (عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢١، حاشية ٤).

١١٨- كانت الكسوة قبل عهد المأمون سوداء اللون كشعار العباسيين. (عبدالمنعم ماجد، العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢١).

١١٩- الأزرقي : أخبار مكة، ص١٧٠؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص٢٨٣.

١٢٠- عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

١٢١- لم يكن الخلفاء العباسيون أول من اهتم بإرسال الهدايا إلى الكعبة وتحليتها، فقد سبقهم في الجاهلية الفرس حيث أهدى ساسان بن بابك من ملوك الفرس للكعبة غزالين من ذهب وجواهر وسيوفٍ كثيرة من الذهب ودُفِنَ ذلك في زمزم، وقد عثر عبدالمطلب جد الرسول (ص) على هذين الغزالين فأهداهما للكعبة ... ويقال : إن كلاب بن مرة أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة لها. ولما فتح عمر بن الخطاب مدائن كسرى كان مما بُعث إليه هلالان فعلقهما في الكعبة، وفي العصر الأموي بعث عبدالملك بن مروان بالشمسيتين وقدحين من قوارير، وبعث ابنه الوليد بقدحين، وبعث الوليد بن يزيد بالسرير (الكرسي) وبهلالين، (الأزرقي : أخبار مكة، ص١٤٧؛ مطهر بن طاهر المقدسي : البدء

والتاريخ، ج٤، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٩٠٧م، ص١١٤؛ إبراهيم باشا رفعت : مرآة الحرمين، ص٢٧٨-٢٧٩.

١٢٢- الأزرقي : أخبار مكة، ص١٤٧-١٤٨؛ يوسف أحمد : المحمل والحج، ج١، ص٢١٦-٢١٧.

١٢٣- لم يكن عهد هارون الرشيد أول ما علق في الكعبة فقد سبقه (صحيفة قريش) التي كُتبت في عهد الرسول (ص) وذلك عندما رأت قريش ارتفاع راية الإسلام اجتمعوا وتآمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئًا ولا يتبايعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل، وكتبوه في صحيفة بخط " منصور بن عكرمة " وقيل " بغيض بن عامر " فشلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة في هلال المحرم سنة سبع من البعثة النبوية فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه إلاّ أبو لهب فكان مع قريش، فأقاموا على ذلك سنتين حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلاّ سرًا، ثم قال رجلان في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلاّ اسم الله تعالى، فلما أنزلت لتمزق وجدت كما قال الرسول (ص). (ابن هشام : السيرة النبوية، ج١، ص٣٣٩).

١٢٤- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٤٧٥-٤٧٦؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج٦، ص١٧٣؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٣٣١.

١٢٥- يذكر أن هذين الكتابين ظلا معلقين في جوف الكعبة حتى مات هارون الرشيد، وبعد وفاته بسنتين في خلافة الأمين طلب الفضل بن الربيع من محمد بن عبدالله بإتيانه بهما فنزعهما من الكعبة وذهب بهما إلى بغداد فأخذهما الفضل فخرقهما وأحرقهما بالنار. (الأزرقي : أخبار مكة، ص١٦٠؛ يوسف أحمد : المحمل والحج، ج١، ص١٩٦).

١٢٦- الأزرقي: أخبار مكة، ص١٥٤؛ يوسف أحمد : المحمل والحج، ج١، ص١٨٩.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١- **ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم، ت ٦٣٠هـ) :**

- الكامل في التاريخ، مج٦، بيروت، ١٩٨٤م.

٢- **ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير، ت ٦١٤هـ) :**

- رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.

٣- **ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ٨٠٨هـ) :**

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٣، دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٢م.

٤- **ابن دحية الكلبي (أبو الخطار عمر) :**

- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦م.

٥- **ابن سعد (محمد ت ٢٣٠هـ) :**

- الطبقات الكبرى، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٦- **ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي) :**

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر ١٣١٧هـ.

٧- **ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل، ت ٧٧٤هـ) :**

- البداية والنهاية، ج١٠، ١٩٨٣م.

٨- **ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ) :**

- لسان العرب، ج٣، ج٤، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

٩- **ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، ت ٢١٣هـ) :**

- السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني، ج١، دار التوفيقية، الأزهر، ١٩٧٨م.

١٠- **أبو الفدا (إسماعيل بن علي، ت ٧٣٢هـ) :**

- المختصر في أخبار البشر، ج٢، بيروت، د.ت.

١١- **الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبدالله، ت ٢٣٣هـ) :**
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، بيروت، ١٩٧٩م.

١٢- **البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ) :**
- أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ج١، دار المعارف، مصر، ١٩٤٥م.

١٣- **الخطيب البغداد (أبو أحمد بن علي، ت ٤٦٣هـ) :**
- تاريخ بغداد، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

١٤- **الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، ت ٢٨٢هـ) :**
- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، بغداد، د.ت.

١٥- **الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ) :**
- سير أعلام النبلاء، ج٦، تحقيق حسين الأسد، بيروت، ١٩٨٢م.

١٦- **السخاوي (شمس الدين) :**
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ١٩٧٩م.

١٧- **السيوطي :**
- تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، محمد العثماني، دار القلم، بيروت، د.ت.

١٨- **الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، ت ٥٤٨هـ) :**
- الملل والنحل، ٥ أجزاء، القاهرة، ١٣١٧هـ.

١٩- **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ) :**
- تاريخ الأمم والملوك، ج٦، طبعة ١٩٣٩م.

٢٠- **الفاكهي (أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس) :**
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك عبدالله، ج١، مكة، ١٩٩٤م.

٢١- الماوردي (أبو الحسن علي البصري، ت ٤٥٠هـ) :

- الأحكام السلطانية، مصر، ١٢٩٨هـ.

٢٢- المسعودي (أبو الحسن علي، ت ٤٥٠هـ) :

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٩٦٤م.

٢٣- مطهر بن طاهر المقدسي :

- البدء والتاريخ، ج٤، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٩٠٧م.

٢٤- المقريزي :

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٥- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الروم، ت ٦٢١هـ) :

- معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٦- اليعقوبي :

- تاريخ اليعقوبي، مج١، دار صادر، بيروت، د. ت.

ثانيًا : المراجع :

١- **إبراهيم رفعت :** مرآة الحرمين، ج١، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.

٢- **أحمد أمين :** ضحى الإسلام، ج٣، القاهرة، ١٩٣٥م.

٣- **أحمد مختار العبادي :** في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٤- **جميلة نخلة المدور :** كتاب حضارة الإسلام في دار السلام، مصر، ١٨٨٨م.

٥- **حسن إبراهيم حسن :** تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٢، القاهرة، ١٩٨٦م.

٦- **حسن أحمد محمد، أحمد إبراهيم الشريف** : العالم الإســلام فــي العصــر العباسي، دار الفكر العربي، د.ت.

٧- **سليمان عبدالغني مالكي** : بلاد الحجاز، الرياض، ١٩٨٣م.

٨- **السيد عبدالعزيز سالم** : العصر العباسي الأول، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ.

٩- **عصام الدين عبدالرؤوف الفقي** : الدولة العباسية، مكتبة نهضــة الشــرق، ١٩٨٧م.

١٠- **عطية أحمد القوصي** : تاريخ الدولة العباسية، دار الثقافة العربية، د.ت.

١١- **علي حبيبة** : العباسيون في التاريخ، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٢- **عمر رضا كحالة** : أعلام النساء، ج٢، مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٣- **فاروق عمر** : - طبيعة الدعوة العباسية، بيروت، ١٩٧٠م.
العباسيون الأوائل، بيروت، ١٩٧٠م.

١٤- **فريد رفاعي** : عصر المأمون، دار الكتب، بيروت، ١٩٢٧م.

١٥- **محمد جمال الدين سرور** : الحياة السياسية في الدولة العربية الإســلامية، دار الفكر العربي، ١٩٦٠م.

١٦- **نظير حسان سعداوي** : نظام البريد في الدولــة الإســلامية، دار مطبعــة مصر، ١٩٥٣م.

١٧- **يوسف أحمد** : المحمل والحج، ج١، القاهرة، ١٩٣٧م.

ثالثاً : **المراجع الأجنبية** :

1- **Cambridge :** Medieval History, V.2, Cambridge, 1975.

2- **Encyclopedia of Islam**, V.1, Leyden.

3- **Gibb, H.A.R :** Mohammedanism, New York, 1949.

4- **Shaban, M.A. :** The Abbasid Revolution, Cambridge, 1970.